عالم آرميا

الفصول المفقودة

الفصل #1

دمعة

عبدالعظيم السلامين

ⓒ عبدالعظيم السلامين ، ١٤٤٦هـ

عبدالعظيم السلامين
عالم آرميا: الفصول المفقودة #١ دمعة. / عبدالعظيم السلامين .-
الاحساء ، ١٤٤٦هـ

رقم الإيداع: ١٤٤٦/١٠٥١٨
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٥-٥٤٠٢-٧

عالم آرميا

الفصول المفقودة

الفصل #1

دمعة

عبدالعظيم السلامين

@Abdulatheem

@abdulatheem.a

@abdulatheem.a

armia.book@gmail.com

www.armia.me

مقدمة مشروع

(الفصول المفقودة)

إلى المحاربين في عالم آرميا، أعلم أنكم لم ولن تكتفوا من القتال في هذا العالم، فقد أُسِرتم فيه وأصبح منكم وأصبحتم منه.

(الفصول المفقودة)، هو مشروع لقصص لم تجد طريقها في كتب روايات عالم آرميا، لأسباب عدة مثل: لا مكان لها في سياق القصة، أو قصة جانبية لا تخدم القصة الرئيسة، أو لم يتسع لي الوقت لإخباركم بها، فعالم آرميا عالمٌ شاسع لا نهاية له، ستقاتلون وتحاربون فيه دون ملل وكلل، فالمضي قدمًا هو ديدنكم أيها المحاربون!

والآن اسحبوا سيوفكم، وشدوا أقواسكم، وامتطوا تنانينكم: ولنمضِ معًا في جنبات هذه القصص التي فُقِدت ونسيها الزمن، ففي هذه السلسلة سنرتحل فيها بين طيات الزمن: الماضي والحاضر والمستقبل.

فالحاضِر يُكتَب، وفي المستقبلِ القَدرُ يترَصَّد، وأما الماضي فيُفهَم ثم يُطوَى...

مقدمة الفصل المفقود الأول (دمعة)

هذه القصة، تحكي عن إحدى شخصيات عالم آرميا، التي لم أستطع التطرق لها، وسيكون لها ظهور في الجزء الثالث. شعرت أن هذه الشخصية بماضيها الفريد قصة تستحق أن تُروى.

هل يجب أن أقرأ الأجزاء السابقة لأفهم هذه القصة؟

بالطبع لا، لكن يستحسن قراءة الجزء الأول والثاني، حتى نستطيع أن نكتشف أسماء بعض الشخصيات، ونفهم دوافعها.

ما الفترة الزمنية التي حدثت فيها أحداث هذه القصة؟

تقع أحداثها بعد نهاية الجزء الثاني (دموع لايرا) بشهر تقريبًا.

دمعة

كان أبوه فارسًا، وليس كأي فارس، بل كان الفارس الأول في المملكة، فارسًا شريفًا يجسد النبل في أبهى صورة، كان يُعَلِّم ابنه فن السيف ويزرع في قلبه حب الخير وجوهر النبل، حتى يرث سيفه وشرفه حين يموت. وأمَّا الملك الذي يخدمه لم يكن ملكًا صالحًا، بل ملكًا غارقًا في الشهوات، ولا يهتم لرعيته وكثير الشك بمن حوله، يخشى على مُلكه الزوال. كانت الرعية تحب هذا الفارس وتهتف باسمه دائمًا، فقد كان خيِّرًا معطاءً، يهتم بهم ويسمع مشاكلهم وينقلها للملك الذي لا يهتم، لكنه ينجح أحيانًا في إقناع سيده، كان الملك

لا يطيقه أبدًا ويغار منه، لكنه يعلم أنه الأكفأ من جميع رجاله، لهذا كان صابرًا عليه ويلبي بعض طلباته.

استمر الوضع على هذا الحال حتى أخذت إحدى جواريه تهمس في إذنه وتبث السموم وتزرع الشك في قلب الملك نحو هذا الفارس الشهم، فهناك من رشاها ووعدها بالمكافأة إن تنحَّ هذا الفارس الذي هو عمود المملكة وحاميها. ولم يمض الوقت حتى أرسله الملك في مهمة، ولم تكن كذلك، بل مكيدة خطط لها بمساعدة هذه الجارية التي تتلقى أوامرها من كيانٍ مجهول، يسعى لخراب هذه المملكة، وهذا ما حصل، فقد سقط عمود المملكة وحاميها.

علم الابن بفطنته بالمكيدة، لكن بعد فوات الأوان، فقد رحل أبوه إلى العالم الآخر. أخذ الابن أمه وغادر عن هذه المملكة تحت جناح الليل في خفاء، حتى لا يأتيهم ما أتى أباه، ولم

يرتح حتى خرج من هذه المملكة البائسة، والتي ما لبثت حتى غُزِيَت وانهارت. وكان الابن حينها يبلغ من العمر خمس عشرة سنة.

كبر الابن حتى صار رجلاً، وكبر معه كرهه لجميع الملوك، وأقسم ألا يعمل تحت إمرة ملك، بالرغم من أن مهارته بالسيف ونبله يشهد عليهما الجميع، واسم أبيه ذائع الصيت يكفي بأن يجعله يعمل فارسًا تحت مظلة أي مملكة أخرى، لكنه أبى ذلك وزهد في حياة الرغد، وعمل في شتى المهن، ساقيًا وحمَّالاً، وأخيرًا كمرتزق أو أجير، يقبض مبلغًا لحماية شخصٍ ما، أو استرداد حقٍّ من ظالم، وحتى إن أصبح مرتزقًا، فهو لا يقبل إلا الأعمال الخيرة والنظيفة.

كان وحيدًا لا يختلط بالناس، إلا أمه التي يحبها ويرعاها. والتي أصرَّت أن يتزوج فقد بلغ مبلغ الرجال منذ زمن، ولا تريد أن يبقى وحيدًا، وربما

زوجة وبضعة أطفال قد تجبره على الاستقرار، وككل أم تريد أن ترى أحفادها. واستطاعت أخيرًا إقناعه. فبحثت له عن زوجة صالحة، حتى وجدت واحدة أخيرًا، لم تكن بارعة الجمال، لكنها من عائلة ذات نبات طيب، وهذا كل ما تصبو إليه، فهي تعلم أن الجمال ومتاع الدنيا لا يغري ابنها.

بدايةً لم يعتقد أنه خُلِق للحب، ولا لأن يكون زوجًا، ولم يرضخ لأمه إلا من أجل برها. وبعد الزواج كان يحاول الابتعاد عنها، ويعاملها بكل رسمية وجفاء مشاعر، لكنه بالرغم ذلك لم يسئ لها يومًا، بل ولا يفكر بذلك أبدًا. لكن يومًا بعد يوم، وشهرًا بعد شهر، والزوجة المسكينة التي ترغب بحياة فيها حب وحنان لم تجد لها إلا الصبر على هذا الجفاف، وكانت الأم تشعر بالذنب اتجاهها، لذا حاولت أن تحسن إليها وتعتبرها كابنة لها، وتصبرها أكثر، وتحاول

كثيرًا التحدث إلى ابنها الجاف لكن دون جدوى.

لكن تدريجيًّا وبعد مرور أكثر من سنة، بدأ يتغير شيئًا فشيئًا من تلقاء نفسه ومن دون أن يعلم، فقد كانت زوجته تبتسم إليه وتعتني به في صحته ومرضه، وتحسن إليه بالقول والفعل، فقد كانت كل أفعالها وأقوالها الطيبة كقطراتٍ صغيرة صابرة ومثابرة تحفر في صخرة صمَّاء ببطء حتى انفلقت الصخرة أخيرًا، فمرضها الأخير كان كالقشة التي قصمت ظهر البعير، فالحب يولد من المواقف والتضحيات، والحب الذي ينشأ مع مرور الوقت هو الأقدر على الصمود أمام قهر الزمن، وأمَّا الحب الذي يولد بسرعة ينتهي بسرعة.

فيوم مرضت زوجته اسودت الدنيا في عينيه، لم يعتقد أنه في قلبه المتصخر يحمل لها هذا القدر من المودة والرحمة، كان يرعاها ويسهر

على راحتها، ولم يتخيل أنه سيخشى فقدانها هكذا، فقد كان مرضها عسيرًا، لكنها برأت منه بعد قتالٍ طويل، وفي تلك اللحظة أدرك كم كان يظلمها من دون أن يعلم، وكم كان قاسيًا معها. صبرت الزوجة ونالت خيرًا.

مرت السنون وأصبح لهما ولَدان بعمر الخامسة والثالثة، وابنة صغيرة رضيعة، وفي هذا الوقت زار القرية تاجر خيِّر يوزع المال على المحتاجين ويطعم الأفواه الجائعة. وفي فترة إقامته أرسل لابن الفارس، وعندما حضر عنده أكرمه ببعض الهدايا، ثم أخبره برغبته في الذهاب بأمواله إلى الميناء، ليزور دولة أخرى، لكن الطريق إلى الميناء محفوف بالمخاطر، فهو يمر على مملكة، وهذه المملكة في حالة حرب واستنفار، لذا يريد من ابن الفارس أن ينادي على بعض أصدقائه المرتزقة ليوفروا لعربته

الحماية، ووعد بأنه سيجزل بالعطاء، بل وأعطاه نصف المبلغ مقدمًا، وهذا النصف كان كافيًا لأن يجعله يعيش سنة كاملة من دون أن يعمل. تردد في بادئ الأمر، لكنه رزق مؤخرًا بابنة، والمصاريف ازدادت، بل كان بالفعل يفكر بأن يعمل عملاً إضافيًّا لأجل ابنته، وكانت هناك مقولة شعبية، عندما يولد طفل فإن رزقه يولد معه، ورأى بأن هذا هو رزق الطفلة. وأيضًا طمأنه التاجر بأن الطريق الذي سيسلكونه خالٍ من الحروب، بل إن معظم حروب هذه المملكة انتهت بانتصارها، ولم يتبق سوى الفلول الهاربة ومن ثم استتباب الأمن. وكان يعلم أن ما يقوله التاجر صحيح، والحماية هي فقط من هذه الفلول الهاربة، وأمَّا هذه المملكة فملكها قويٌّ وعادل ولا يتعرض للأبرياء.

وافق وعاد إلى زوجته يبشرها، وكانت في هذا الوقت ترضع ابنتها، كانت تنصت إليه وهو فرح بِما رُزِقُوا، ولم تُعَلِّق، انتظرت حتى شبعت ابنتها ونامت ومن ثم وضعتها بلطف في سريرها الصغير وقبلتها على جبينها، ثم عادت وجلست أمام زوجها وقالت بعينين حزينتين:

- «عزيزي... أرجوك أعد المال، فلسنا بحاجة إليه».

صدمه قولها فقال:

- «لماذا؟ إن هذا رزق ابنتنا!».

ترددت قليلاً، ثم قالت وهي تنظر إليه بانكسار:

- «حلمت اليوم أن سيفك عاد إليَّ مكسورًا، وأنت الآن جئت بعملٍ خطر، أرجوك يا قرة عيني، أتوسل إليك، فكل المال في هذا العالم لا يعني شيئًا أمام

وجودك معي ومع أطفالي هنا، إن لم يكن من أجلي فمن أجل هؤلاء الثلاثة».

كان فاغر الفاه وهو يرى دمعة يتيمة تنسل ببطء على وجنتها، فحرَّكت تلك الدمعة شيئًا دافئًا في داخله، لكن بالرغم من ذلك، قال:

- «عزيزتي، أفهم مشاعرك، والتي أعلم إنها لا تأتي إلا من حبٍّ صادق، لكن سيف الخيميائيين لا ينكسر أبدًا، حتى لو كان أمام (السيفستريل)، وأعلم أنك تخافين علي، ولأجل ذلك أحبك، لكن أنا رجلٌ والرجال لا يثنون كلمتهم، خصوصًا إن كانت لأجل حلم، وثقي بي فالأمور في هذه المملكة شبه مستتبة، وأنت أعرف من الجميع مهاراتي في القتال، لن يؤذيني سيف جنديٍّ جبان فضل الهروب من المعركة».

أطرقت رأسها في الأرض وقالت:

- «هكذا إذن... أحمد الله أني لست رجلاً حتى أستطيع ثني كلمتي عندما أحتاج».

قامت وذهبت إلى غرفة أخرى وهي تمسح دموعها بأكمامها، لم يتوقع أبدًا أن تخاطبه هكذا يومًا من الأيام، كان جزءٌ منه غاضبًا، والآخر في حيرة، ولو كان شخصًا عاديًّا لربما زجرها، لكنه اعتاد الهدوء والحِلم، وفي قرارة نفسه يعلم أنها قالت ما قالته لأنها تحبه.

لم يفتحا هذا الموضوع مرة أخرى أبدًا، وكانت لا تستطيع أن تنظر إلى زوجها من دون أن تدمع عيناها، وعندما حان يوم الرحيل، أعطاها كل المال ولم يترك لنفسه إلا النزر اليسير، وأوصاها بأن تهتم بالأبناء وبأمه العجوز، وهو يعلم أنه لا حاجة له بأن يوصيها عليهم، فهي نعم الزوجة الصالحة، ويؤمن أنه في كل العوالم، لن يجد زوجةً أفضل منها،

ولأجل هذا يحبها ويقدرها، ولا يتخيل نفسه مع واحدة أخرى، فقد أحسنت أمه الاختيار.

ودَّع ابنيه، ثم قبَّل طفلته وهي في حضن أمها، وأما زوجته فقد كانت منكسرة لا تستطيع أن تنظر إليه، مسح على وجنتها بلطف، لكنه تفاجأ بأن قبضت على يده بقوة، كأنها لا تريدها أن تهرب من على وجنتها وتنسل يده الحانية من عليها، رفعت عينيها المكسورتين تتأمل زوجها للمرة الأخيرة، ولولا أنها تحمل بيدها الآخرة ابنتها لربما قبضت على يده بكلتا يديها.

أسقطت دمعة يتيمة من عينها، وتلقفتها بكف زوجها وهي تقول:

- «احمل دمعتي هذه معك ريثما تعود، احفظها واحمها، لأنها تقول لك إني أحبك، ولا أرضى بالدنيا دونك».

تركت يده فسحبها وهو يتأمل الدمعة النقية التي ساحت على كفه وتركت خطًّا نظيفًا على باطن يده المتسخة، بالرغم من أنها تبدو فعلة أنثوية وكلامها شاعريًّا، ولا يعتبر منطقيًّا للرجال، لكنه كان يشعر بوزن هذه الدمعة، بل وكأن لها روحًا، أو كأنما وضعت زوجته جزءًا من روحها داخل كفه. أخذته القشعريرة، ولم يشعر بنفسه إلا وهو يحضن زوجته وابنته الصغيرة، قبل رأس زوجته وقال لها وهو يبتسم بحزن:

- «أعدك أني سأعود، وسأرجع لكِ دمعتك».

أومأت وهي ترص على شفتيها الرقيقتين وكأنهما تتصارعان، تحبسان صرخة مكبوتة، فهي تشق بحدسها، وتخشى أنها المرة الأخيرة التي ستراه فيها، ولأجل ذلك دارت وأعطته ظهرها مودعة كي لا يرى دموعها التي تفجرت من

عينيها وأخذت تصب كشلال منهمر. وعرف زوجها ذلك، لأنها دائمًا تفعل هكذا عندما تبكي، لذا وضعه يده على كتفها وقال:

- «اعتني بنفسك من أجلي... لأني أحبكِ».

لم يكن يومًا ما شخصًا شاعريًّا يلقي بكلام الحب العذب، وهذه المرة الأولى التي نطق بكلمة الحب صراحة، لا يعرف ماذا حل بذلك الرجل الجاف والصلب، وماذا فعلت به هذه المرأة الحنونة بقوتها الناعمة. وكيف لرجلٍ بقوته وصلابته وفروسيته يضعف هكذا أمامها.

انزلقت يده من على كتفها حتى قبضت على كفها وقال:

- «إلى اللقاء... إني راحلٌ الآن».

لم ير إلا رأسها وهو يومئ له من الخلف وجسدها يرتعش لفكرة رحيله التي لم تستسغها.

انتظر عدة لحظات قابضًا على كفها، ثم تركها بلطف ورحل...

مضى أسبوع ونصف منذ رحيلهم، ومنذ ذلك الوقت كان واجمًا لا يحدث أحدًا، ويأكل بقدر ما يسد جوعه فقط، برغم أن التاجر يغدقهم بالطعام والشراب. وأمَّا يده التي تحمل دمعة زوجته، لم يتجرأ ويغسلها يومًا، وعندما يخلع قفازه ليتأملها يرى أن يده اتسخت، لكن كان هناك خط نظيف لم يتسخ أبدًا، وكأن طهارة ونقاء دمعة زوجته تبعد كل وساخة ونجاسة، لذا بقيَ هذا الجزء من يده نظيفًا لم تمسسه ذرة رمل.

وخلال هذا الأسبوع لم يتجرأ أحدٌ عليهم، ولا حتى لصٌّ صغير أو سبع جائع. كان يعلم أن الطرقات في هذه المملكة التي دخلوها منذ ثلاثة أيام آمنة جدًّا، فملكها ينزل عدالته بيدٍ من حديد على كل مجرمٍ مهما صغر جرمه، ويخوض معاركه بنفسه، ولم يُهزَم أبدًا، فحتى في حالة الحرب ستكون الطرقات آمنة، فهناك مقولة بأن نساء هذه المملكة يستطعن الخروج في منتصف الليل لوحدهن ويرحلن إلى قرية أخرى دون أن تتعرض إحداهنَّ لأي تهديد. يعلم أن في هذه المقولة نوعًا ما من المبالغة، لكنها إلى حدٍّ ما صحيحة، فأبوه كان يكن الاحترام والتقدير لهذا الملك. بل ويعرفه شخصيًّا، وأما هو فقد التقى به في صغره، والتقى بابنيه الأميرين التوأم. الأميرة التي سببت له الرعب في حادثة قديمة، وتوأمها الأمير الذي يفتخر بمهاراته القتالية برغم صغر سنه في ذلك الوقت.

قطع سلسلة أفكاره صوت الطرب والصخب القادم من مخيم التاجر، فقد اعتاد التاجر في كل ليلة أن يحيط حاشيته مع عرباته بسورٍ طويل من قماش الخيَم، فتصبح كأنها خيمة كبيرة واسعة، ويقضي لياليَ طربة صاخبة بداخلها. لا يعلم ابن الفارس بالضبط ما يحدث خلف هذا السور الذي يوضع كل ليلة، لكنه ليس بمزاج لأن يهتم، ما دام هو ورجاله ينالون الطعام الوفير، بالرغم من أن بعض رجاله يظهرون بعض الحسد لأنهم ممنوعون من دخولها.

جاء اليوم التالي وانطلقت رحلتهم، كان كعادته في المقدمة وخلفه أربع عربات كبيرة وفارهة، ومن كل جانب يحرسها اثنان من المقاتلين وكذلك من الخلف أيضًا، ليصبح المجموع سبعة حراس، كان ابن الفارس يرى

بأن هذا أكثر من كافٍ لحراسة التاجر وعرباته. وبالرغم من مزاجه المتعكر وقلقه على زوجته وأطفاله، إلا أنه كان يحاول أن يبقى منتبهًا، ويراقب كل صغيرة، حتى لو كان طائرًا صغيرًا، فهو رأس الحربة. وفي الحقيقة هو ذو خبرة عالية، فأبوه لم يقصر معه في تدريبه وشحذ حواسه. لذا عندما توسطت الشمس كبد السماء، وأخذت الأشجار تزهو بخضرتها أكثر وهدأ النسيم، أشار للجميع بالتوقف، ففراسته العالية شعرت بخطبٍ ما، ترجل من حصانه ليحتمي خلفه وسحب سيفه الأسود بهدوء، وكذا أمر رجاله المستأجرين.

كان يعلم أنهم مراقبون الآن، لم يرهم وإنما حركة الحشائش والأشجار البعيدة، لكن حدسه يخبره أن عددهم قد يقارب العشرة، وأيضًا أنهم منظمون جدًّا فهم يحاولون الإحاطة والتسلل بهدوء، لو كان شخصًا غيره

لن يلاحظ كل هذا. وبما أنهم بهذا التنظيم، خمن أنهم جنود من هذه المملكة، لكن لماذا يحاولون الإحاطة والتسلل حول عربات من الواضح أنها لتاجر، وليست فلولٍ هاربة من العدو؟ التفسير الوحيد أنهم ربما يعتقدون أنهم قد يأوون هاربين، لذا رفع صوته بينما يحاول أن يحمي رأسه خلف حصانه وهو يقول:

- «لا داعي لمحاولة التسلل، فنحن لسنا أعداءكم، وإنما تاجر مسالم يحاول المرور في هذه المملكة الآمنة، ولم نسمع منكم الغدر أبدًا، لذا أظهروا أنفسكم ونعدكم أن نغمد سيوفنا، وعندها يمكنكم التأكد منا وتفتيشنا، وهذا حقكم».

شعر أنهم توقفوا عن محاولة التسلل، وهذه علامة مطمْئِنة، لذا رفع رأسه يترقب خروجهم في أي لحظة، لكنه لم يغمد سيفه للاحتياط، ومضت ثواني الترقب والانتظار، لكن لا شيء،

لذا قرر أن ينادي مرة أخرى، لكن قبل أن يفتح فمه، سمع صوت أربع سهام انطلقت في وقتٍ واحد مسدد ببراعة وخطف إحداها فوق رأسه ليستقر في قلب سائق العربة الأمامية، انخفض فورًا والتفت للخلف ليعاين الإصابات، هناك شيءٌ غريب، لم يُصَب إلا سائقو العربات الأربع، وكلها تسديدة أصابت إما الرأس أو القلب مباشرة، لذا عرف فورًا أنهم لو أرادو قتله لقتلوه مع رفاقه وفي لحظة واحدة، وهنا تيقن أكثر أن هؤلاء ليسوا بعصابة أو فلولٍ هاربة، وليسوا بجنودٍ عاديين! بل هؤلاء هم الحرس الملكي صفوة الفرسان، لكن لماذا؟! هل يخفي هذا التاجر شيئًا ما؟ ألف سؤالٍ وسؤال، لكن لا وقت للبحث عن الإجابة.

علا صوت النساء والحاشية بالصراخ والخوف. صرخ ابن الفارس برجاله أن يحذروا ولا

يهاجموا، خصوصًا لو اتضح أنهم يحملون رايات سود يتوسطها فرسٌ ذهبي، عدا ذلك فليهجموا، فآخر ما يريده أن يكون عدوًا لهذه المملكة، فلديهم سمعة مخيفة، بأن يقتصوا كل من يؤذي أحد جنودهم ولو كان في بروجٍ مشيدة.

خرج بعض الجنود ببطء وحذر محيطين بهم، وصدق حدسه عندما رأى المعاطف الحمراء، الخاصة بالحرس الملكي وهم يحملون الرايات السود، أي أن هذه الجماعة تضم فردًا من البلاط الملكي، أهو الملك أو أحد الأمراء؟ لكن للمرة الألف لماذا؟!

ومن الأمام خرج بفرسه شابٌّ حسن الوجه بشعرٍ أسود قصير ولحية مشذبة بعناية، ويرتدي الدروع السوداء برفقة ثلاثة من الحرس الملكي، خمن أنه أحد الأمراء، وبشكلٍ أدق ولي العهد الجديد لهذه المملكة. كاد ابن

الفارس أن يصرخ فيه، لكن الأمير سبقه قائلاً بصوتٍ جهوري آمر، لا يصدر إلا من شخصٍ ذي دماءٍ ملكية عتيقة:

- «أيها المرتزقة، لا شأن لكم، ولو أردنا قتلكم لقتلناكم قبل أن يرتد طرفكم، استسلموا وارموا أسلحتكم أرضًا، فإن لم تعرفوني فأنا هو الأمير ولي عهد هذه المملكة، وهؤلاء هم الحرس الملكي، نفوقكم عددًا وقوة، وعندئذٍ قد يعفوا الملك عنكم».

اشتاط ابن الفارس غيظًا، نظر إلى الخلف ورأى أنهم محاطون فعلاً ولا مجال للقتال، وأما الحراس المستأجرون لا أمان لهم، فقد رموا أسلحتهم وأعلنوا استسلامهم فورًا، فلا يريدون أن يفقدوا رؤوسهم مهما كان السبب، فشعر بالغدر والخيانة، لكن ومع هذا رفع ابن الفارس صدره وتقدم وهو يحمل سلاحه قائلاً للأمير،

وبلهجة جهورية تكاد توازي لهجة الأمير وقوتها:

- «لقد طلبتُ منكم الأمان... أهذا أمانكم؟ هذا التاجر الطيب أحسن لي ولم يسئ لكم، أتريدونني أن أتخلى عنه؟ ومنذ متى كان قتل العزل وترويع النساء ديدنكم؟ هل هذه أفعال أشرف الأمراء؟ أم أنتم منتحلون ومخادعون؟».

رفع الحرس الملكي أسلحتهم نحوه بغضب لأنه أهان الأمير وشرفه، وأمَّا الأمير لم ينطق، أخذ يعاين هذا الذي برز بسيف الخيميائيين المائل للأسوَد، بوقفته المهيبة، ولهجته الجهورية، واعتداده بشرفه، ففهم أنه ليس بمرتزقة، لذا عليه أن يعامله بحذر، فأمر ثلاثة من الحرس الملكي بأن يشتبكوا معه دون قتله، وأما البقية يقيدوا المستسلمين ويقبضوا على جميع راكبي

العربات من التاجر وحاشيته، ثم يفَرِّغوا البضاعة.

انطلق الحرس الملكي كخلية نحلٍ منظمة، هناك من قيد الرجال ومن أغار على داخل العربات ليخرج من فيها فعلا صوت النساء والخدم أكثر فأكثر، وأما ابن الفارس وجد نفسه يقاتل ثلاثة من أعتى مقاتلي هذه المملكة بسيفه الطويل، كان يرى الأمير يسير بهدوء ورزانة قربه دون أن يلتفت أن ينظر إليه، وهنا صرخ ابن الفارس عليه بينما يقاتل ببسالة الثلاثة في وقت:

- «تعال قاتلني أنا! رجلٌ لرجل! فأتباعك ليسوا ندًّا لي.... **تعال!!!**».

سار الأمير وكأنه لا يسمع كلمة واحدة، وابن الفارس يحاول التملص من الحرس الملكي لينقض عليه، لكنهم كانوا مطبقين عليه جيدًا، وحذرين في التعامل معه، بل وبالكاد يجارونه،

كان كالسبع المسعور، ينهال عليهم بالضربات السريعة والقوية، وهنا أيقنوا أنه ليس بشخصٍ عادي، لا يوجد مرتزقة بهذه القوة والمهارة.

وأمَّا ابن الفارس يراقب الأمير وهو يتقدم نحو التاجر الذي يرتعد خوفًا، فقد قُبِضَ عليه مع جميع مرافقيه بسرعة، ومن دون كلمة وبلا تردد، وبنظرات باردة، سحب الأمير سيف الخيميائيين المائل للأسود، وهوى به بسرعة خاطفة، كأن برقًا أسودًا قطع رقبة التاجر في أقل من جزء من الثانية. اتسعت عينا ابن الفارس وشعر كأن حجرًا ثقيلاً سقط في معدته.

نفض الأمير سيفه من دماء التاجر، ثم التفت على ابن الفارس بوجهٍ خالٍ من المشاعر، فأمر الحرس الملكي الثلاثة بالتراجع، فانطلق ابن الفارس كالسهم يهوي بسيفه وبكل قوته على الأمير، الذي أخذ يتصدى ضرباته القوية

والماهرة ببراعة، وأخذ يراقصه قليلاً حتى ينتهي بقية الحرس الملكي من تفريغ البضاعة، وكان متعمدًا أن يجعل العربات خلفه، حتى يتسنى لابن الفارس بأن يرى هذه البضاعة.

بدأ الحرس الملكي بتفكيك سقف وأرضية العربات بسرعة، فهم يعلمون أنهم في سباقٍ مع الوقت، وابن الفارس ينظر إليهم باحتقار وهو يفرغ غضبه على الأمير، الذي يجاريه ندًّا لند لكن من دون أن يعرق له جبين، وهنا لمح ابن الفارس شيئًا جعله يتراجع بضع خطوات للخلف، لكن الأمير انقض عليه بسيفه وهو يقول:

- «إذًا أترى ما تحويه هذه العربات؟ يا من تطعن بشرفنا! فلا أمان لدينا لأمثالهم!».

يكاد لا يصدق ما تراه عينه، لكن ابن الفارس في حالة نكران، لذا لا يزال يهوي بضرباته على الأمير وهو يصرخ، صرخة قهر، صرخة خيبة،

صرخة هزيمة، فقد لمعت عيناه عندما رأى نساءً وأطفالاً مقيدين وهم مستلقون على ظهورهم، من داخل سقف العربات ومن أسفلها، ومكممو الأفواه. وهنا أخذ يتساءل: هل كان يحمي بضاعةً من العبيد طوال هذه الأيام؟ أهذا ما أصبح عليه الآن؟ كيف له أن يلطخ اسمه أبيه الفارس؟ كيف له أن ينظر إلى أبيه في الحياة الأخرى؟ بل وكيف يعود إلى زوجته ويخبرها بفعلته؟ بل كيف سيسامح نفسه قبل أن يطلب منها السماح؟

أخذ الحرس الملكي بفك قيود العبيد من النساء والأطفال، ليسقوهم ماءً، لكن واحدًا منهم، طفلاً بعمر ابنه الأكبر، كان الحرس يحاولون إفاقه وسكب الماء على وجهه، لكن لا فائدة، فقد فارق الحياة، وهنا كانت القشة التي قصمت ظهر البعير، فخيل له أن ذلك الطفل ابنه الذي اشتاق إليه، وماذا لو كان ابنه في

مكان ذلك الطفل؟ هنا أصبح يقاتل الأمير بدون وعي وهو يهذي ودموعه تملأ محجريه، وهنا لم يجد الأمير سوى إيقافه، لذا صرخ عليه الأمير وانهال عليه بالضربات، حتى أصابه وجرده من سيفه. وفي هذه اللحظة، انهار ابن الفارس على الأرض وهو يضرب رأسه عليها بقوة حتى غشي عليه، فأي عار سيلحق به...

لم يكن ابن الفارس بوعيه، كأنه كان مخدرًا ومثلاً، بل هو كذلك فعلاً، مخدرًا بالذل والهزيمة والعار وتدنيس شرفه وشرف أبيه. لذا مضى عليه الوقت بسرعة، أهي ساعات أم أيام؟ لا يعلم، لم يعد له وعيه إلا بعد أن أجلسوه على أرضية البلاط الملكي. لم يجرأ بأن يرفع رأسه، فبأي وجه يقابل القاضي الذي سيحكم عليه، فوجهه يصرخ بالذنب، لكنه لمح أقدامهم وأطراف ملابسهم، فعلى الكرسي المرتفع يجلس

الملك، وعلى يمينه فتاة ترتدي فستانًا أبيض، فلا بد أنها الأميرة التي التقى بها في صغره وأرعبته، أما يسار الملك فتلك قدما ولي العهد الذي قاتله، وعلى يساره قدمان أصغر، فإذًا هذا هو الأمير الصغير، ملك وثلاثة أمراء، سيحكمون عليه، بأعظم جريمة قد يرتكبها شخصٌ مثله.

ولم يمض الكثير من الوقت، حتى جاؤوا ببقية الرجال الذين استأجرهم وأجلسوهم بمسافة عنه، هنا شرع الملك بسرد تهمهم، لكن ابن الفارس لم يكن يصغي جيدًا، ثم بدأ الملك باستجواب الرجال الذين استأجرهم ابن الفارس، وهنا أصغى لبعض الجمل مثل: "*لا دخل لنا... لم نكن نعم... نحن بريئون... قائدنا لا بد أنه كان يعلم... نعم إنه الملام... لقد خاننا وباعنا... استسلمنا من فورنا... فأما هو استمر بالقتال... نعم نعم هو المذنب...*".

لقد خانه رجاله وباعوه عند أقرب فرصة، كان يشعر بسكينٍ مسمومة تُغرسُ في أعماق قلبه أكثر فأكثر، يتذكر ابنته الرضيعة، وكيف سيلحق بها عار ما فعله أبوها، ثم زوجته وابنيه، لقد قالت له زوجته بأن سيفه سيُكسر، حذرته وحاولت ثنيه لكنه لم يصغِ، فها قد كُسرت روحه وشرفه، هذا ما كان يعنيه حلم زوجته العزيزة.

قطع الملك أفكاره المظلمة، يوجه سؤالاً بصوته الملكي الجهوري المهيب:

- «وأنت أيها الفارس! ما رأيك في اتهام رجالك لك؟».

لم يعرف كيف يتكلم، للحظة كأنه نسي الكلام، بل من تلك اللحظة التي انهار فيها على الأرض لم ينطق حرفًا واحدًا، ففي حنجرته غصة مؤلمة، لكن أخيرًا نطق بصعوبة وبصوتٍ خفيض مكسور مليء بالذنب:

- «سيدي الملك... لستُ بفارس... لم أكن يومًا فارسًا... ولا أستحق هذا اللقب... فجريمتي عظيمة... نعم أنا مذنب لأني حاميت عن تاجر عبيد، وجررت هؤلاء الرجال معي ولطخت أيدهم... لكن أنا بريء من خيانتهم... لم أكن أعلم... ولو عرفت لأنزلت عليه نفس حكم الأمير بسيفي دون أن أجفل وبدماءٍ باردة... عدا ذلك أنا مذنب... وأستحق الموت... لكن قبل ذلك لي طلب إن تكرم عليَّ جلالتك، وأنا لا أستحق الكرم».

استمر الملك بالصمت للحظات، ثم قال الملك:

- «لا أعدك بتحقيقه، لكن ما هو طلبك أيها الفارس؟».

"*فارس؟ لستُ بفارس!*" كانت هذه الكلمة كشوكة في حلقه، فهو لا يستحقها ولا يعلم لماذا الملك يصر عليها، لكنه قال طلبه باستحياء:

- «أريد أن أُرسل كتابًا لزوجتي، أخبرها أن تتخلص من المال الذي أعطيتها إياه، فتلك أموال حرام، أموال ملوثة بدماء المساكين».

أصدر الملك همهمة، ثم وجه كلامه إلى الأميرة:

- «وما رأي أميرتنا؟».

تحدث صوتٌ أنثوي جهوري، صوتٌ لا يخفي الكبرياء، صوتٌ واثق وقوي، صوتٌ يليق بملكة قوية لا بأميرة:

- «بالنسبة إلى المرتزقة، فهم صادقون بأن لا دخل ولا علم لهم، لكن كل كلامهم عن

الفارس كان افتراءً، وأنا أمقت المفترين، ولا أحترم من هم على شاكلتهم، من يكذب ليلقي اللوم على غيره كي ينجو، وتلك ليست أفعال رجال... أما الفارس... فهو صادق في كل كلمة قالها، ومشاعره مشاعر فارسٍ حقيقي».

"*فارس! فارس! فارس! ألا يفهمون أني لست فارسًا؟!*" أراد أن يصرخ بهذه الكلمات، لكنه ليس بموضعٍ لأن يناقش وينتقد ملكًا وأميرة.

أمر الملك رجاله بأن يُرجعوا المرتزقة إلى زنازينهم وسيحكم عليهم لاحقًا عندما يجد العقاب المناسب، وأخبرهم أنهم لو كانوا صادقين ولم يكن كذبهم واضحًا للجميع لربما فكر بالعفو عنهم، فبدأت صيحات الاستهجان وطلب الرحمة منهم، لكن بكلمة واحدة:

- «صمتًا!».

زلزلتهم وأخرستهم، فعندما ينطق ملكٌ حقيقي، فلكلماته وحروفه قوة آمرة غريبة، تجمد العروق لو أرادت.

انتظر الملك حتى يرحل المرتزقة عن ناظريه، ثم تأمل ابن الفارس للحظات ثم قال:

- «دعني أحكِ لك قصة أيها الفارس. ففي زمنٍ بعيد، كنت أعرف فارسًا شهمًا لا يشق له غبار، كان يخدم ملكًا، بل الحقيقة أقرب إلى عربيد من ملك، ومع ذلك كان مخلصًا، يحمي مملكته ويقود جميع المعارك، مما جعلني أتساءل، كيف لفارسٍ مثله أن يخدم ملكًا مثله؟ لماذا برأيك؟».

فهم ابن الفارس أن هذا الملك يعرفه ويعرف أباه جيدًا، مما جعله يشعر بالذل أكثر فأكثر، قال:

- «لا أعلم، لكن ذلك الملك تخلص منه برغم إخلاصه وولائه له».
- «ومن قال شيئًا عن الولاء؟ أنت مخطئ إن اعتقدتَ يومًا أن ولاءه يومًا كان للملك! ولأختبره سألته يومًا ما إن يطلب من ملكه إعفاءً عن مسؤولياته ويرحل ويعمل تحت خدمتي، فأنا بحاجة إلى رجالٍ من أمثاله، فقال لي: يشرفني أن أكون فارسًا تحت خدمتك، لكن إن رحلت، فمن يقاتل لأجل شعب هذه المملكة وينتزع حقوقهم من هذا الملك؟».

اتسعت عينا ابن الفارس، فطوال هذه السنوات كان يلوم أباه لأنه اختار ملكًا طالحًا، لكنه عرف الآن نقاء قلب أبيه وأنه فارسٌ حقيقي.

قام الملك من مكانه وسحب سيفه، فقد حان موعد القصاص، تقدم الملك حتى وصل إلى ابن الفارس، ثم قطع قيوده، وقال:

- «والآن أخبرني أيها الفارس... ما هو العقاب المناسب لك؟ فحتى لو لم تكن تعلم، فأنت قد حاميت عن تاجر عبيد، عن سيدٍ طالح».

فهم ما يرمي به الملك بأنه وأباه خدما شخصًا طالحًا برغم اختلاف الأسباب. أسبل ابن الفارس يديه من دون أن يرفع رأسه، وهو يتأمل خط دمعة زوجته التي ما زالت نظيفة وتلمع، وأخذ يفكر كيف دنس هذه الدمعة بفعلته، فهو لا يستحق دمعة طاهرةً نقية مثلها. أغمض عينيه يحبس دموعه في محجر عينيه، لكنه فشل وسقطت دمعة يتيمة على الأرضية الرخامية البيضاء، قال بعدما تماسك أخيرًا:

- «افعل بي ما أنا أهله، فلستُ أستحق الرحمة».

وضع الملك نصل سيفه الأبيض على كتف ابن الفارس وملاصقًا لرقبته ثم قال:

- «الموت رحمة لك، وأنت لا تستحق الرحمة على حسب رأيك، وإن تركتك حيًّا ليقطعنك ذنبك حتى نهاية حياتك، وهذا لا أرى فيه عدالة، لذا...».

أُنيرت نقوشٌ ذهبية ترمز للبرق على النصل الأبيض المتلألئ، فشعر ابن الفارس بصواعق تتغلغل في جسده، ثم أكمل الملك:

- «انهض فارسًا ابن فارس! يا (آيا) ابن (إنليل)، واحمل رايتنا، واقسم لي الولاء، وكفر عن ذنبك واغسل شرفك وشرف أبيك، فهناك تجارة للعبيد تتسلل لتعبر مملكتي، اقتلعها من جذورها وحرر

العبيد، عندها سأحررك من قسمك إن أردت ولك أن ترحل حينها».

رفع رأسه غير مصدق وهو ينظر إلى الملك بعينين متسعتين عن آخرهما، نهض لا إراديًّا كأنه يتمسك بحبل نجاة، وفي الأعراف حينما ينهض الفارس، يضع راحة يده على نصل سيف ملك ثم ينطق بالقسم، واختار أن يضع اليد التي فيها دمعة زوجته، كأنه يقسم بأعز ما يملك في هذه اللحظة، بقسم بنقاء دمعة زوجته، ثم قال بصوتٍ رُدَّت له الروح، بصوتٍ مفعم بالكرامة والصدق، بل لم ينطق بمثل هذا الصوت أبدًا:

- «أنا (آيا) ابن (إنليل)، أقسم لك بالولاء، وأقسم أني سأطهر هذه المملكة من تجار العبيد المتسللين، وأقسم أني سأحررهم جميعًا!».

ملحق إضافي

بعد أيامٍ وأسابيع قليلة، كان أحد الدراكوناي[1] يسير بمعطفه الذهبي متسللاً بين الأشجار في ظلمة هذه الليلة وهو يتأمل النجوم المتلألئة، قبل أن يشرق القمران اللذان أخذا بالابتعاد عن بعضهما بعضًا، فيمحيان بنورهما بعضًا من هذه النجوم المتناثرة بلا نهاية. وبينما يتأملها، شيءٌ ما تحرك بداخله، حنين إلى الماضي القديم كيف كان وكيف أصبح. ثم أخذ يحدث نفسه بداخله متذمرًا:

- «رحمكِ الله يا أمي... ربما كان عليكِ أن تتركيني لأصبح فلّاحًا مثل أبي، لكنكِ ماذا قلتِ؟ "أنتَ ذكي موهوب مثل أمك يا قرةَ عينها" وتتشاجرين مع أبي

[1] (دراكوناي) لقب في عالم آرميا يطلق على الشخص أو الفارس الذي يمتلك تنينًا يأتمر بأمره، بعد إكمال الطقوس اللازمة.

ليعطيكِ فضية أو فضيتين لأتعلم القراءة والكتابة، وتستعيرين الكتب الكثيرة لأقرأها، فقد كنتِ تقولين أيضًا: "المحارب المتعلم والذكي أقوى من المحارب القوي" ابنك المتعلم كان يرى ركاكة هذا التشبيه وتكرار المفردات، لكنه لسببٍ ما، كان منساقًا لأحلامك ولم يعترض، كأنني كنتُ مسيرًا لا مخيرًا. أرسلتِني للتجنيد، فخضتُ أنواع العذاب والتدريبات، ولأنني تعلمتُ الفِلاحة أيضًا كان جسدي قاسيًا ولياقتي عالية، فقد اكتشفتُ لاحقًا أنكِ تلاعبتِ بأبي قليلاً، تجعلينه يعتقد أنه مسيطرٌ بعض الشيء فتتركينني أتعلم وأجتهد في الفِلاحة في نصف وقتي، لأجل أن أُمَرِّن جسدي، فقد رسمتِ لي مسارًا بالقلم والمسطرة، فبعد سنوات من تدريبات التجنيد، قد تفوقتُ على أبناء النبلاء

والفرسان من دون أن أعلم، واصطفاني سيد السلاح من بين الجميع، وليته لم يفعل... ولسوء حظي اختارني لأكون من ضمن فيلق التنانين. فأي مخبول يريد أن يصبح (دراكوناي)؟ ويقتل تنينًا ليصب من دماء التنين داخل دمه؟ كان يومًا أسود عليَّ، أمَّا أنتِ رحمكِ الله، كنتِ أسعد إنسان، قلتِ بكل برود، وربما لأنكِ كنتِ تؤمنين بمن ربيتِ: "لا تقلق ستنجح!". لقد رأيتُ الموت مرتين، الأولى عندما واجهتُ التنين، والثانية والأعظم عندما صببتُ دماءه في دمي. رحمكِ الله يا أمي... أصبحتِ مع أبي تقيمان معي في القلعة، وتخالطين النبيلات وزوجات الفرسان، وترتدين الحرير، وأصبح لكِ خادمة، فابنك قد أصبح نخبة النخبة فارسًا بتنين، لكني أتمنى لو لم أكن... أن تصبح (دراكوناي)،

يعني أن تصبح تحت إمرة الأميرة مباشرة، ولسوء حظي أيضًا ضموني إلى الفيلق في يوم تنصيبها أميرة وقائدة للفيلق، ومن بين الجميع اختارتني أنا نائبًا لها! لا أزال أتذكر ذلك اليوم التعيس عندما قابلتها، ومن اللحظات الأولى استطاعت أن تصيبني بالقشعريرة والرهبة برغم صغر سنها في ذلك الوقت. يقولون عنها شيطانة، لكني أقسم أن الشيطان يخاف منها، وربما لهذا أصبحتُ أخشى النساء نوعًا ما، ويا ليت المصائب وقفت هنا، فزوجتي أصبحت تغار عندما تستدعيني الأميرة، فتنكِّد عليَّ حياتي، فكأنما لا يكفيني نكد الأميرة، فأنا بين نكدين. قد تكون الأميرة حسناء، بل وتفوق الجميع جمالًا، لكني لا أجرؤ حتى أن أفكر أن أنجذب إليها، بل لو عُرض عليَّ جبال من الذهب لأتزوجها فلن أفعل أبدًا، لكن من

يُفهِم زوجتي ذلك؟!.... رحمكِ الله يا أمي... فأنا الآن أتسلل لأنفذ أحد طلباتها التي قد يصلبني الملك بسببها... فماذا يحدث لو كنتُ فلاحًا؟ كنتُ سأصبح أسعد إنسان! فمالي ومال السلاطين؟».

- «إلى أينَ أنتَ ذاهب؟».

إنه ذلك الصوت الجهوري المميز، الصوت الذي يقذف الرهبة في قلبك من أول حرف، صوتٌ لا يخرج إلا من ملك أو ابن ملك، وليس هذا فقط، فهو بالتو ذكره بين نفسه، وكأنه سمع اسمه في أفكار هذا الدراكوناي فتجلى خلفه كالشبح. بلع الدراكوناي ريقه بصعوبة، ودار إلى الخلف لينحني احترامًا، ثم قال بصوتٍ يكاد أن يختنق:

- «جلالة الملك!».

ثم رفع جذعه ليرى الملك ينظر إليه بنظرات تقول: "أمسكتُك أيها المجرم وحان وقت

القصاص!". ويقف خلفه الفارس الجديد، لم يكن هناك أيٌّ من الحرس الملكي، فهناك ممرات سرية كثيرة لا يعرفها إلا الملك والأمراء حصرًا ولا يرافقه فيها الحرس الملكي، ويستخدمها كثيرًا للتنقل ليخرج فجأة كما فعل الآن، هنا تذكر أن عليه إجابة سؤال الملك، فبلع ريقه مرة أخرى وبصعوبة أشد من سابقتها، وقال وهو يتلعثم:

- «الأميرة... طلبت مني... إيصال رسالة...».

كتَّف الملك يديه، ثم قال:

- «حقًّا؟».

يعرف أن الملك يعرف، فالملك دائمًا يعرف، لا يعلم كيف، لكنه يعرف ما يجري في هذه القلعة، ولو تزحزح حجرٌ من مكانه قيد أنملة لعرف، أكمل الملك:

- «دعني أخمن... أنت ذاهبٌ إلى الفتى؟».

أومأ رأسه وفرائصه ترتعد، فسيحكم عليه الملك بالقصاص حتمًا. قال الملك:

- «أين؟».

تردد لكنه يعلم جيدًا أن سلطة الملك أعلى من سلطة الأميرة، لذا قال:

- «مكانٌ قرب (نيارا)».

همهم الملك، ثم قال بلهجة مهددة حادة:

- «حسنًا... إذًا لدي رسالة أيضًا إلى الفتى، أخبره أن في المرة السابقة حكمتُ عليه بالنفي، لكن بعد فِعلتِهِ الأخيرة، فما إن يضع قدمًا قرب مملكتنا فسأصلبه، وأرمي جثته للسباع، ثم سأحرق ما يتبقى منه حتى يصبح رمادًا!».

تصلب الدراكوناي مكانه وشعر بالقشعريرة تزحف أسفل جمجمته، أمَّا الفارس الجديد تعجب، فهو لم يفهم من هو (الفتى)؟ وماذا فعل سابقًا؟ وماذا فعل الآن لينال سخط الملك هكذا؟

وبرغم أن الدراكوناي متصلب من هذا الحكم على الفتى، إلا أن جزءًا منه شعر بالارتياح لأن الملك ليس غاضبًا منه، وسيذهب إلى مهمته بسلام، لكن الملك وكأنه قرأ أفكار الدراكوناي، قال:

- «اذهب الآن، واستعد بتنينك ومن ثم قابل (آيا) عند البوابة الرئيسة فهو سيرافقك... أيضًا... لِمَ أنتَ متسلل هكذا؟ هل سترتكب خطأً أو جريمةً ما؟ أو ربما تكسر بعض القوانين؟».

هزَّ الدراكوناي رأسه بالنفي، لكنه لم يجرؤ أن يتحدث، بل شعر وكأنه أُلقِمَ حجرًا، وبدأ

يتعرق خوفًا، لكن الملك عتقه وأشار له بالرحيل، فرحل على مضض، وعندما اختفى من مرأى الملك التفت على الفارس الجديد الذي تعجب من الملك الذي بلا مقدمات أمره فجأة بأن يرافق الدراكوناي. قال الملك:

- «أعلم ما يدور في رأسك، لكن هذه مهمة عاجلة، فهناك شيءٌ لا أريد لأي أحدٍ أن يعرف بشأنه، خصوصًا رجال الأميرة، فبنظرة واحدة منها سيخرجون كل ما في جوفهم. وأنتَ لا صاحب لك بعد وتأتمر بأمري أنا فقط. لذا ففي رحلتك هذه ستقابل تنينًا ذهبيًّا، أريدك أن تحفظ تفاصيله بدقة، من حجمه وحراشفه ولون عينيه وشكل قرونه، وكل شيء آخر، دون أن يشعر أحدٌ بشيء، وتقدِّم تقريرًا مفصلاً سريًّا لشخصي فقط!».

دخل الملك إلى غرفته الخاصة بعد أن رحل كلٌّ من الدراكوناي والفارس الجديد، وفي غرفته الشخصية الفارهة، كان هناك بابٌ سري، لم يُفتح له إلا بعد أن نُصِّبَ ملكًا، لم يخبره أبوه عنه ولم يسمع به مسبقًا، وكأنه بابٌ مسحور، يُفتحُ فقط للملك المُنَصَّب عندما يكون لوحده، فخلف هذا الباب يقع درجٌ يقود لغرفة الأسرار، التي لو عَلِم ملك هذا العالم بأمرها، لربما محا هذه المملكة من الوجود، وبتر نسلهم إلى الأبد...

فتح الملك الآن هذا الباب، ثم أخذ ينزل الدرجات الحلزونية حتى وصل إلى نهاية مسدودة، وضع راحة يده على الجدار المصمت، ودار حوارٌ بينه وبين هذا الجدار المسحور الذي ينطق بصوتٍ بلا كلمات، كيف؟ الملك نفسه لا يعلم، لكن يكفيه بأنه يفهم ما يقول هذا الجدار الذي بدوره يفهم على

الملك. أخذ الجدار يتشقق من بين لبنات الجدار ويخرج نورٌ دافئ يَغشى الأبصار، وعندما خفت النور وفتح الملك عينيه، وجد نفسه في غرفة الأسرار التي لا باب لها، هل انشق الجدار وابتلعه؟ لا يعلم... بل وكأن الأمر أصبح روتينيًّا إلى درجة أنه لا يهتم كيف ولماذا؟ فهو في الغرفة وكفى.

أمَّا تصميم الغرفة كان غريبًا، حيث تتوسطها شجرة عريضة الجذع وفروعها المورقة تصعد إلى أعلى وتغطي السقف بالكامل، لكن كل هذا لا يُعتبر غريبًا، بل الأغرب هو جذع الشجرة بفروعها وأوراقها تنير بنورٍ خافت يكفي لأن ينير الغرفة بأكملها، كأنها شجرة اقتُلِعت من غابةٍ سحرية في عالمٍ آخر، ثم غُرِسَت هنا على الأرضية الرخامية السوداء. وكان بقرب الشجرة كرسيٌّ خشبي بسيط أمام طاولة خشبية بسيطة، وفوقها كتابٌ كبير مغلق،

وبقربه محبرة وريشة. وبقرب الطاولة ثلاث صناديق مقفلة من غير مفتاح، فُتِح الأول عندما وُلِدت الأميرة، والثاني قبل شهرين، وبقي الثالث، وكم يخشى مما قد يحتويه.

جلس على الكرسي، الذي كان دافئًا مثلما تركه آخر مرة، وكأن الزمن يتوقف في هذه الغرفة عندما يتركها، لا الخشب يتعفن ولا أوراق الكتاب تذبل، ولا الشجرة تنمو أو تتغير، ولا المحبرة تجف، بالرغم من أن عمر هذه الغرفة يقارب الألفي سنة. مسح على الكتاب الكبير، الذي يقشعر بدنه كلما وضع يده عليه، فغلاف الكتاب مجلد من جلد البشر! ولا أي بشر! يشعر بدفء الجلد وأحيانًا ينبض وكأن أسفل الجلد عروقًا ولحمًا، وليس هذا فقط، بل يحس أن هذا الجلد يتعرف عليه، وكأن صاحبه الأصلي هو الذي يتعرف عليه، بل ويقرب له بالدم أيضًا، خمن أن هذا الجلد يعود إلى الملكة

الأولى زوجة الملك الفاتح، أي جدته الكبرى منذ ألفي سنة، فهي لم تكن إنسانًا عاديًّا، بل من نسلٍ عتيق من الساحرات، أو هكذا يصفهنَّ الناس، وربما وضعت جلدها لتتعرف من لمس هذا الكتاب في المستقبل، بل وربما هي من صنعت هذه الغرفة.

اعتاد غرابة هذه الغرفة وما تحتويه، لكن لم ولن يعتاد أبدًا على ملمس هذا الكتاب. فتح الكتاب الذي خطَّه جميع الملوك من قبله لعشرين قرنًا، مدونين فيه كل الأسرار التي لا يجب أن تخرج من هذه الغرفة، أسرارٌ يشيب لها الرأس، وتنهش من الروح، وتفجع القلب، وتجلب الهم والغم... أسرارٌ لو علم بوجودها ملك الملوك وسيدة الشمس، وهامس الظلام، فلربما خسفوا بهذه المملكة وكل من سار عليها يومًا.

دون الملك بضع أسطر، ثم أغلق الكتاب الذي نبض بقوة فجأة، ثم قام من مكانه وانحنى ناحية الصندوق الذي فُتِح قبل شهرين، وأخرج قرن تنينٍ ذهبي بطريقة تدل على تبجيله واحترامه لهذا القرن وكأنه غرضٌ مقدَّس، ثم قال:

- «أدعوا الله ألَّا يكون هذا قرن التنين الذي ستقابله يا (آيا)، بالرغم من أن كل الدلائل والعلامات تشير لذلك، لكن أريد أن أتيقن أكثر.... فإن كان ذلك التنين يفتقد قرنًا، فتبًّا للجحائم السبع! علينا أن نستعد لأيامٍ حالكة السواد! فالمصائب التي ستأتي... ستغير كل شيء!».

وضع القرن داخل الصندوق باحترام وتأدُّب، ثم أغلقه بهدوء، ثم ألقى بنفسه على الكرسي الذي أصدر صريرًا.

تنهد الملك قائلاً:

- «إذًا فهذه النهاية، وكأنَّ أيامنا الماضية لم تكن سوداء بما فيه الكفاية... من بين جميع الملوك السابقين، لماذا أنا؟!».

رفع رأسه إلى السقف المورق الأخضر اليانع والمنير، فقد عرف من هذا الكتاب أنَّ كل ملكٍ مرَّ على هذه المملكة هو ملكٌ مختار، سيموت من ليس مُختارًا قبل أن ينَصَّب ملِكًا، فربما لهذا السبب استمرت هذه المملكة لألفي عام... لكن من يختار؟ من يتسبب في موت كل من هو ليس أهلاً كما حصل مع ابنه الأكبر؟

شعر بأن كل هذه الأسرار تثقل كاهله أكثر فأكثر وكأن الكرسي يشعر بكل هذا الثقل ويصدر صريرًا أقوى من قبل.

قال وهو يتأمل الأوراق المنيرة:

«لن تنتهي قصتك بانتهاء المنافسة، بل ستكون البداية! يا ابن... آرميا!».

النهاية

عبدالعظيم السلامين

@Abdulatheem

@abdulatheem.a

@abdulatheem.a

armia.book@gmail.com

www.armia.me

ISBN 978-603-05-5402-7

9 786030 554027